**المحور الثاني**: إشكالية بناء أدوات القياس في البيئة العربية (المقاربات النظرية والخلفية الثقافية)

**عنوان المداخلة**: قراءة نظرية حول واقع تكييف الاختبارات والمقاييس النفسية والتربوية في البيئة العربية والجزائرية بين مشكلة التحيز والتحرر من أثر الثقافة.

بن ختو عصام طالب دكتوراه علوم التربية تخصص القياس والتقويم، مخبر الدراسات والبحوث الاجتماعية في الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس.

د/ خطيب زوليخة أستاذة محاضرة -أ- كلية العلوم الاجتماعية، تخصص علوم التربية، جامعة وهران 2

benkhettouissam8@gmail.com

**السيرة الذاتية للباحث:**

بن ختو عصام المولود في 12/04/1997 بولاية سيدي بلعباس، متحصل على شهادة ليسانس شعبة علوم التربية تخصص علم النفس التربوي في السنة الجامعية 2018/2019 وعلى شهادة الماستر شعبة علوم التربية تخصص علم النفس التربوي في السنة الجامعية 2020/2021 بجامعة سيدي بلعباس، ناجح المرتبة الأولى في مسابقة الدكتوراه شعبة علوم التربية تخصص القياس النفسي والتقويم التربوي بجامعة سيدي بلعباس في السنة الجامعية 2021/2022، وأستاذ مؤقت في قسم علم النفس وعلوم التربية بجامعة سيدي بلعباس.

**الملخص:**

تهدف المداخلة الحالية إلى تسليط الضوء حول واقع تكييف الاختبارات والمقاييس النفسية والتربوية في البيئة العربية وتحديدها لا في سبيل الحصر في عاملين مهمين وهما مشكلة التحيز والتحرر من أثر الثقافة، فمن خلال هذه المداخلة أراد الباحث الوقوف عند هذه العوامل المؤثرة في تكييف الاختبارات والمقاييس النفسية والتربوية من خلال الإشارة إليهما من طرف الباحثين والمختصين في القياس النفسي، وأصبحا هذين العاملين الأكثر تداولا في البحوث والدراسات خاصة المتعلقة بالقياس النفسي وتكييف الاختبارات والمقاييس النفسية والتربوية، مما أثار إن صح التعبير بعض الجدليات والاختلافات في أوجه النظر بين الباحثين في طرح ومعالجة قضية تكييف الاختبارات والمقاييس النفسية والتربوية في البيئة العربية في ظل تأثير عامل التحيز الثقافي في مقابل عامل التحرر الثقافي.

**الكلمات المفتاحية:** التكييف، الاختبارات والمقاييس النفسية والتربوية في البيئة العربية، عامل التحيز والتحرر من أثر الثقافة.

**Abstract:**

The current intervention aims to focused on the reality of adapting psychological and educational tests and scales in the Arab environment and identifying them, without limitation, in two important factors, which are the problem of bias and freedom from the impact of culture. by referring to them by researchers and specialists in psychometric, these two factors have become the most frequently discussed in research and studies, especially related to psychometric and the adaptation of psychological and educational tests and scales, which raised, if true, some controversies and differences in points of view between researchers in raising and addressing the issue of adapting psychological And educational tests and scales in the Arab environment under the influence of the factor of cultural bias in exchange for the factor of cultural liberation.

**Keywords:** adaptation, psychological and educational tests and scales in Arabic environment, bias and freedom of culture factors.

**مقدمة:**

تحتل الاختبارات والمقاييس النفسية بأنواعها المختلفة مكانة خاصة في علم النفس المعاصر، كما أن لهذه الاختبارات استعمالاتها الواسعة في مجالات حياتية عديدة ومتنوعة، ومع أن الباحثين قد يختلفون في تحديد التاريخ الدقيق لظهور حركة الاختبارات النفسية أو حركة القياس النفسي. **(أمطانيوس،2016،ص.17).**

وتجدر الإشارة أن عملية القياس في علم النفس والتربية مرت بأدوار ومجالات متعددة حيث بدأت بالتفسير البدائي، ثم انتقلت إلى المقاييس الحديثة والتي نراها اليوم كاختبارات الذكاء والقدرات واختبارات التحصيل وغيرها، وكان يعتمد على القياس في مرحلة معينة على النواحي الحسية والحركية، ثم انتقلت الى العمليات العقلية العليا كالتجريد والتفكير، وقد حدث تطور آخر في حركة القياس، حيث تأثر العلماء بالدراسات العلمية في العلوم الطبيعية والفيسيولوجية، حيث كان العلماء يؤمنون في أواخر القرن التاسع عشر أن الناس يختلفون فيما بينهم في قدرتهم على تمييز المثيرات الحسية المتقاربة كالمثيرات اللمسية والصوتية والضوئية بسبب قدرة الفرد على تركيز الانتباه، ومدى نضج جهازه العصبي، إضافة الى ارتباط الذكاء بالقدرة السمعية والقدرة على تمييز الأشياء المتقاربة، حيث ظهرت نظريات الذكاء المتعددة والمتطورة من حين لآخر وبناءً عليها ظهرت الاختبارات المختلفة، والتي تقيس سمة أو خاصية ما لكل فرد، وفي أي مرحلة عمرية يمر بها. **(الريماوي،2017،ص.17).**

 وتشير **(أنستازي وأوراينا،2015**) أن الاختبارات النفسية توظف حاليا في حل نطاق متسع من المشكلات العملية، غير أننا لا ينبغي أن نغفل حقيقة أن مثل تلك الاختبارات تخدم أيضا وظائف مهمة في البحوث الأساسية، فجميع المشكلات تقريباً في علم النفس الفارق مثلا يتطلب إجراءات اختبارية كوسيلة لجمع البيانات. ومن أمثلة ذلك يمكن الرجوع إلى دراسات تتعلق بطبيعة الفروق الفردية ومداها، وقياس الفروق بين المجموعات، وتحديد العوامل البيولوجية والثقافية المقترنة بالفروق السلوكية، فبالنسبة لجميع مثل تلك المجالات البحثية ولكثير غيرها تكون إمكانية قياس الفروق الفردية بواسطة اختبارات نفسية بمثابة أدوات مقننة لاستقصاء مثل تلك المشكلات المتنوعة مثل التغيرات النمائية مدى الحياة داخل افرد، والفاعلية النسبية لإجراءات تربوية مختلفة، ونواتج العلاج النفسي، وأثر البرامج المجتمعية المحلية وتأثير المتغيرات البيئية في الأداء الإنساني.**(علام،2015،ص.17).**

فالاختبارات في جوهرها أدوات الدراسة العلمية للفروق الفردية، وهي بذلك تسعى إلى المقارنة بين الأفراد كما يقول كرونباخ في تعريفه، وهذه المقارنة قد تكون بين الأفراد في ضوء معيار يتحدد من خلال الخصائص الواقعية للأداء الفعلي للأفراد **(عمر وآخرون،2010،ص.94).** وفي هذا الإطار يضيف **(معمرية،2012)** أن الاختبار النفسي من أهم الوسائل التي نستعين بها في تحديد خصائص الفرد أو الأفراد، ويمتاز على غيره من وسائل تحليل الفرد (كالمقابلات الشخصية والملاحظات وفحص البيانات المسجلة عن الفرد في وثائق رسمية) في أغلب الأحوال بميزتين أساسيتين والمتمثلة في إعطاؤه للخاصية النفسية التي يقيسها درجة كمية، تحدد مدى توافر الخاصية موضع القياس، مما يمكن من دقة المقارنة بين الأفراد، فتطبيق اختبار ذكاء على الفرد لا يعطينا فقط وصفا عاما على أنه ذكي أو متوسط الذكاء، أو أقل من المتوسط، بل يعطينا درجة كمية محددة لكل فرد، كأن يعطينا اختبار ستانفورد- بينيه للذكاء مثلا، أن نسبة ذكاء "س" هي 112، ونسبة ذكاء "ص" هي 127، مما يُمَكن من دقة المقارنة بينهما، بالإضافة إلى توافر درجة أعلى من الموضوعية في القياس، بمعنى أن نسبة ذكاء "س" ونسبة ذكاء "ص" لم يتأثر تحديدهما كميا بأهواء الأخصائي النفسي الذي طبق الاختبار، وصححه واستخرج هاتين النسبتين، لأن الموضوعية تعني اتباع نفس الإجراءات في التطبيق والتصحيح، إذ طبق الاختبار أكثر من أخصائي نفسي سوف يتبعون نفس الإجراءات.**(معمرية،2012،ص.106).**

 وفي ذات السياق، اقترح "شيس" أن الاختبار النفسي والتربوي هو أداة قياس مقننة أو أسلوب منظم يصمم للحصول على قياس موضوعي لعينة من السلوك بهدف موازنة أداء الفرد بمعيار أو بمستوى أداء محدد، وهذا التعريف يعد تعريفا شاملاً للأسلوب الذي يتبع في بناء الاختبار، وطريقة تسجيل الملاحظات عن السلوك، وتصحيح أو تقدير درجات الاختبار **(علام،2000،ص.29)**، ومن هذا المنطلق لابد من الإشارة إلى مفهوم مهم ورد في التعريف وهو التقنين، إذ يذكر **(عوض،1998)** بأنه وسيلة نتأكد بها من توافر صفات الصلاحية للاختبار، وصفات الصلاحية هذه هي: سلامة أسلوب الصياغة، وتناسق الألفاظ المستخدمة في بناء جمل الاختبار، وتناسبها مع مستوى المختبرين الثقافي والعقلي، وسلامة الصياغة لتعليمات الاختبار، وتساوي وحدات الاختبار في الصعوبة، وتدرج الأسئلة، وان تكون الأسئلة قصيرة مؤدية للمطلوب، وتكون الإجابة أيضا لها نفس هذه الصفة.**(عوض،1998،ص.69،68).**

ويعرف التقنين أيضا بأنه توحيد إجراءات التطبيق على جميع الأفراد المشاركين، وكذلك توحيد طريقة تصحيح (تقدير) الدرجات، إضافة إلى منع تأثير المتغيرات المتداخلة التي من شأنها التأثير على درجة المشارك، وكذلك تحديد الخصائص السيكومترية التي تدل على جودة الاختبار، وتوحيد طريقة تفسير الدرجات **(مراد وسليمان،2005،ص.349).**

وجدير بالذكر أن بعض الباحثين لديهم هاجس إعادة التقنين عندما يستعملون أدوات جاهزة، تم اعدادها في بيئات أخرى غير البيئة الجزائرية، ومع جهل العديد منهم بعملية إعادة التقنين، يقومون بحذف بنود من أداة القياس عن طريق الانطباع الشخصي وليس بطريقة علمية، ودون التمييز كذلك بين أدوات قياس منبثقة من نظريات وأدوات قياس تم تصميمها لحل مشكلة علمية (تشخيص اضطراب نفسي، أو التعرف على المستويات العقلية لتلاميذ المدارس وغيرها) في عملية إعادة التقنين ترد في أدوات القياس بنود تتضمن أسماء لأشخاص أو لأماكن أو لأحداث تاريخية، وترد بنود كذلك تتضمن سلوكا وممارسات تتعارض مع ديننا وأخلاقنا وآدابنا وتقاليدنا، وترد كذلك بنود تشير على بعض المهن والحرف التي لا تتوفر في مجتمعنا، هذه البنود كلها لا تحذف وإنما تستبدل ببنود أخرى حتى لا تنقص بنود الاختبار ككل، وهذه العملية تتطلب الإلمام بثقافة المجتمع وعاداته وتاريخه، حتى يضع الباحث البنود البديلة بطريقة ناجحة، وأدوات القياس التي انبثقت من نظريات نفسية ينبغي عدم المساس ببنودها، لأن صدق الاختبار سيتأثر سلبا. فالعلاقة بين النظرية وأداة القياس المنبثقة عنها علاقة بنائية. **(معمرية،2022،ص.533).**

 بناءً على ما تم طرحه يوضح **(بركات وبعلي،2021)** أن الاختبارات النفسية تواجه مشكلة كبيرة وهي التحيز الثقافي أو ما يعبر عنه بالخصوصية الثقافية الذي يجعل منها تقع في خطأ منهجي في تقدير القيمة الحقيقية لمختلف درجات وتقديرات داخل المجموعة الواحدة، وعليه لابد من إخضاع هذا العامل للتجريب من خلال دراسة مصداقية البناء اللغوي والمحتوى وكذا القدرة على التنبؤ بالخاصية والسلوك محل القياس، ويرتبط هذا التحيز بشكل مباشر بالاختبارات المترجمة لبيئات مختلفة عن بيئة الأصل مما يجعل منها غير صالحة وقاصرة في صدقها، وتعد الترجمة أولى مراحل تكييف الاختبار، هذا الأخير والذي يعبر عنه بالقدرة على تقدير تركيبة الاختبار ذاتها في ظل لغة مغايرة ومختلفة لغويا وثقافيا، ويرتبط أيضا التكييف بطرق تقدير الدرجات والتعليمات وكذلك تكافؤ البنود وبنية الاختبار، في حين يعكس التقنين إعادة صياغة معايير الاختبار**.(بركات وبعلي،2021،ص.135).**

ولعل مسألة الأثر الاجتماعي والثقافي للاختبارات النفسية من أخطر المسائل على الاطلاق، ويوجه النقاد إلى الاختبارات النفسية نقدا بأنها متحيزة اجتماعيا وتمثل حواجز ضد الفرص التعليمية والمهنية لعدد من أبناء الفئات المرحومة داخل المجتمع الواحد، وتزايدت هذه الانتقادات في السنوات الأخيرة على الأخص في بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، وذلك يرجع إلى زيادة المطالبة بالحقوق المدنية وتهيئة تكافئ الفرص للجميع، ومن هنا ندعوا إلى إبداع ثقافي جديد في مجال الاختبارات النفسية، ونشير إلى بعض الممارسات الخاطئة في حركة الاختبارات النفسية في الثقافتين المصرية والعربية حيث ينطبق على معظمها خصائص النقل الأعمى والترجمة الحرفية لهذه الاختبارات**.(إسماعيل،2004،ص.43،42).**

انطلاقا مما سبق طرحه، كان من الضروري الوقوف عند بعض المفاهيم المهمة وذلك عن طريق تقديم قراءة نظرية حول واقع تكييف الاختبارات والمقاييس النفسية والتربوية في ظل التحيز والتحرر الثقافي، ومحاولة الكشف عن أهم المفاهيم الرئيسية الواردة في المداخلة، واستنادا إلى ما سبق نطرح التساؤلات التالية:

**1/.** ماهي العوامل المؤثرة في تكييف الاختبارات والمقاييس النفسية والتربوية في البيئة العربية وبالخصوص في البيئة الجزائرية؟

**2/.** كيف يمكن للباحثين تفادي المشكلات التي تؤثر في تكييف الاختبارات والمقاييس النفسية والتربوية واتباع الطرق العلمية الصحيحة في تكييفها في ظل عاملي التحيز والتحرر الثقافي.

**3/.** ماهي الشروط الواجب توفرها في الاختبارات والمقاييس حتى يمكن التأكد من صلاحيتها وقابليتها للتطبيق في البيئة العربية؟

**1.أهداف المداخلة:**

**-** تقديم قراءة نظرية مفاهيمية حول تكييف الاختبارات والمقاييس النفسية والتربوية وبعض المفاهيم المرتبطة به ويمكن تحديدها لا في سبيل الحصر في التقنين، التحيز الثقافي، التحرر من أثر الثقافة.

- إبراز أهم العوامل والمشكلات التي تؤثر في تكييف الاختبارات والمقاييس النفسية والتربوية في البيئة العربية وبالخصوص في البيئة الجزائرية.

- الكشف عن الطرق العلمية الصحيحة التي ينبغي على الباحثين إتباعها في تكييف الاختبارات والمقاييس النفسية والتربوية في ظل عاملي التحيز والتحرر الثقافي.

- الوقوف عند أهم الشروط الواجب توفرها في الاختبارات والمقاييس للتأكد من صلاحية تطبيقها في البيئة العربية والجزائرية خصوصاً.

**2.أهمية المداخلة:**

تكمن أهمية المداخلة في تبصير الباحثين في علم النفس والتربية حول واقع تكييف الاختبارات والمقاييس النفسية والتربوية في ظل عوامل التحيز والتحرر الثقافي عن طريق طرح معالجة نظرية مفاهيمية لفتح المجال أمام المهتمين بالقياس النفسي وخصوصا بتكييف الاختبارات النفسية والتربوية في البيئة العربية، وذلك من خلال التعرف على الطرق المنهجية الصحيحة للتكييف في البيئة العربية، وكذا المعيقات التي تواجه الباحثين في تكييف الاختبارات في ظل التحيز والتحرر الثقافي.

**3. الدراسات السابقة:**

نظرا لوجود عدد معتبر من الدراسات التي تناولت موضوع تكييف الاختبارات والمقاييس النفسية والتربوية في البيئة العربية في ظل عوامل التحرر والتحيز الثقافي، وحسب حدود اطلاع الباحث سيتم ذكر بعض الدراسات التي لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بموضوع المداخلة وهي:

**دراسة نعموني (2014) بعنوان** التكييف الثقافي للاختبارات النفسية للبيئة العربية آراء ومقترحات، هدفت الدراسة إلى تقديم قراءة مفاهيمية حول التكييف الثقافي للاختبارات النفسية، بالإضافة إلى تقديم مجموعة من الإجراءات التي ينبغي مراعاتها في عملية التكييف الثقافي للاختبارات، وكذا مصادر الأخطاء في التكييف الثقافي للاختبارات، وبعض طرق التأكد من صلاحية التكييف الثقافي للاختبارات النفسية، خلصت نتائج الدراسة أن أغلب الاختبارات النفسية المتداولة في مختلف القطاعات في الدول العربية هي اختبارات أجنبية صممت لتتناسب مع الخصائص الشخصية للأفراد في المجتمعات الغربية المتباينة ثقافيا وقيميا مع المجتمعات العربية، معظم الاختبارات المعربة لا يتفق محتواها مع ثقافة المجتمع، ولا تخاطب العقل العربي وبالتالي لا تتم الإجابة عنها باهتمام وبدقة وموضوعية، بل تتسم الإجابات عنها باللامبالاة والاستهزاء.

**دراسة بوسالم عبد العزيز (2017) بعنوان** الصدق الثقافي للاختبارات النفسية المطبقة في الجزائر ومشكلة التكييف من أجل الصلاحية، هدفت الدراسة التطرق إلى الجوانب التي يمكن التركيز عليها في تطبيق الاختبارات النفسية وفي محاولة تكييفها وتحديد العوامل الموضوعية التي تجعل الاختبار المبني في بيئة معينة غير صالح للتطبيق المباشر في بيئات أخرى تختلف من حيث الخصوصية الثقافية والاجتماعية، حيث قدم الباحث مقاربة نظرية حول تحقيق صدق تأويل نتائج الاختبار مبرر لضرورة تكييفه، كما تم تقديم قراءة مفاهيمية حول تكييف الاختبارات النفسية والانحياز والتكافؤ في الاختبارات النفسية، وأشار كذلك إلى الاختبار النفسي وكيف يصبح منحازا من خلال انحياز البنية وانحياز المنهج والبند، كما قدم الباحث مجموع المعايير الواجب توفرها في الاختبار حتى يمكن تطبيقه والاستفادة الفعلية من نتائجه وذُكر منها توفير دليل للاختبار، وتمتع الاختبار بخصائص سيكومترية مقبولة من الصدق والثبات، والموضوعية، الاهتمام بالجانب الثقافي عند نقل الاختبار من ثقافة إلى أخرى.

**دراسة قوارح وسراية (2017) بعنوان** الخطوات المنهجية في تكييف الاختبارات النفسية والتربوية، هدفت الدراسة إلى تقديم خطوات منهجية الواجب اتباعها من طرف الباحث أثناء تكييفه لمقياس أجنبي، أشار الباحث إلى ضرورة تكييف المفاهيم والتي تعتبر ركيزة الاختبار، حيث لوحظ أن المفاهيم تختلف باختلاف التطور الثقافي، كما أكد على حساب صدق الاختبار لأنه طريق لتحقيق تكييفه، ما أشار إلى دلالات البعد الثقافي في نتائج الاختبارات النفسية، إذ أن كل ثقافة تتميز بمعايير وقيم ومفاهيم تختلف عن الثقافات الأخرى، كما أشار إلى مفهوم الانحياز الثقافي للاختبارات، وختم الدراسة بالشروط الواجب توفرها لصلاحية الاختبارات الأجنبية.

**التعقيب على الدراسات السابقة:**

من خلال الدراسات السابقة التي تم التطرق إليها التي تبين أهمية موضوع تكييف الاختبارات والمقاييس النفسية والتربوية في البيئة العربية في ظل التحيز والتحرر من أثر الثقافة. معظم الدراسات كانت عبارة عن مقاربات نظرية عالجت مفاهيم تكييف الاختبارات والمقاييس، وتقديم الإجراءات المنهجية التي يتبعها الباحثون في عملية تكييف الاختبارات في البيئة العربية، مع التطرق إلى طرق التأكد من صلاحية أدوات القياس في البيئة العربية.

**4.الإطار النظري:**

**1.4. مفاهيم المداخلة:**

**1.1.4. تكييف الاختبارات:**

يشير مفهوم تكييف الاختبارات النفسية إلى كل الإجراءات التي يتبعها الباحث بدءا من تقديره عما إذا كان باستطاعة الاختبار تقدير التركيبة نفسها عند نقله من ثقافة إلى أخرى، وصولا إلى محاولته الحصول على مفاهيم، مفردات وتعابير متعادلة ثقافيا، لغويا ونفسيا مع الثقافة الجديدة للاختبار، فتطييف اختبار يأخذ أبعاد أكثر من ترجمة محتوياته من لغة إلى أخرى ليشمل جملة من التعديلات المنطقية المدروسة والمرحلية والتي تحتاج إلى أدلة علمية لتؤكد أن الاختبار بصورته الحالية صالح للتطبيق ونتائجه تنطبق على العينة الجديدة وفق خصائصها الثقافية.**(بوسالم،2014،ص166).**

وعليه يمكن النظر إلى عملية التكييف بأنها عملية إستدخال واستحداث جملة من التغيرات في بنية الاختبار أو أسلوب وطريقة الاستخدام، كما يمكن أن يتجاوزه إلى تغيير في التعليمات أو إجراءات التطبيق أو ربما في لغة ومحتوى الاختبار، وعليه وجب إعادة التحقق والتأكد من الصدق بناءً على جملة التغيرات المدخلة ونوعها هذا من جهة، ومن جهة ثانية يشترط في عملية تكييف الاختبار في حالة ترجمته من لغة الأصل إلى لغة النقل أو من لهجة لأخرى أن يخضع لعملية التدقيق والتأكد من مصداقيته وكفاءته على التنبؤ بالسلوك محل القياس. **(بركات وبعلي،2021،ص.137،136).**

**2.1.4. التقنين:**

يشير التقنين إلى حقيقة أن إجراءات التطبيق والتصحيح والتفسير محددة بشكل كامل، ومستقلة عن الأحكام الذاتية للفاحص، وجوهر المدخل السيكومتري (القياس النفسي) هو أن التحديد المفصل للإجراءات يسمح لكل فرد أن يستخدم الاختبار بالدرجة ذاتها من الكفاءة، مع ما يعنيه ذلك من ان نتائج مختلف الأفراد، أو بالنسبة للفرد الواحد من زمن إلى آخر سوف تكون هي ذاتها، ويشير تقنين التفسيرات إلى حقيقة أن مثل هذه الاختبارات تستخدم بيانات للمعايير محدد على أساس واقعي عملي لتفسير الدرجات الفردية. **(عبد الخالق،1996،ص.43).**

كما يعرف التقنين حسب **(الشجيري والزهيري،2022)** على أنه توحيد إجراء تطبيق الاختبار وتصحيحه، وإذا كانت الدرجات التي يحصل عليها الأفراد المختلفون قابلة للمقارنة، فإن شروط الاختبار يجب أن تكون موحدة للجميع، وهذا الشرط ما هو إلا تطبيق خاص للحاجة إلى الشروط والظروف المضبوطة في جميع الملاحظات العلمية. **(الشجيري والزهيري،2022،ص.280).**

**3.1.4. عامل التحيز الثقافي:**

تتضمن كلمة الانحياز وجود عوامل مزعجة، يقال عن القياس أنه منحاز إذا اختلفت الدرجات المسجلة في إحدى الاختبارات من لغة إلى أخرى بسبب وجود تباين غير مرغوب فيه، ويشير الانحياز إلى جميع أنواع العوامل المزعجة التي تعيق تفسير اختلاف الدرجات بين مجموعة وأخرى، ويُفهم الانحياز بشكل أفضل من خلال القابلية للتعميم.**(عباس وبن الحاج،2016،ص.181).**

**4.1.4. عامل التحرر الثقافي:**

ورد في دليل مصطلحات القياس والتقويم لفظ "الاختبار غير الثقافي أو المتحرر ثقافيا" على أنه اختبار يتكون من فقرات مهامها غير مستمدة من ثقافة معينة، الأمر الذي يجعلها قابلة للتطبيق على ثقافات أخرى، أو على المجموعات الثقافية المختلفة التي يتشكل منه مجتمع ما.**(الطراونة،2009،ص.08)**

كما جاء مصطلح "اختبار عبر حضري" في معجم علم النفس والتحليل النفسي: اختبار نفسي غير متأثر تأثرا جوهريا ببيئة ثقافية معينة، بحيث يصلح استخدامه في أكثر من مجتمع أو ثقافة كأن يصلح تطبيقه بنفس المعايير وطريقة التطبيق والتصحيح في مصر وأمريكا وفرنسا مثلا، وهذا النوع من الاختبارات نادر إلا أنه ضروري خاصة للدراسات التي تحتاج أن نقارن فيها بين الشعوب والمجتمعات المختلفة. **(طه** **وآخرون، 1936،ص.27).**

**2.5. العوامل والمشكلات المؤثرة في تكييف الاختبارات والمقاييس النفسية والتربوية في البيئة العربية والجزائرية:**

**1.2.5. عامل التحيز:**

يشير **(كوفمان وآخرون،2000)** إلى أن أغلب الاختبارات النفسية المنقولة ثقافياً إلى ثقافات أخرى هي اختبارات منحازة ثقافياً، كما أن هناك عدد واسع من الاختبارات ووسائل القياس الأخرى التي تتسم بسهولة التطبيق، إلا أنها تقيس عدداً قليلاُ من المكونات والعوامل للسنة النفسية المُقاسة بغض النظر عن المكونات الحقيقية للسمة في ثقافة أخرى، ولهذا جاءت الدعوة لضرورة إعداد اختبارات وتكيفها لتتفق والرؤى النظرية والتصورات الحديثة في تفسير السلوك الإنساني وجوانب المتعددة، مع مراعاة الخصوصية الثقافية للمجتمعات والأفراد والسياق الموقفي للظاهرة محل الدراسة في محتوى تلك الاختبارات، ليس هذا فحسب، بل والدعوة لأهمية إحلال تلك الاختبارات الحديثة محل الاختبارات التقليدية، والأنجلو أمريكية المُعربة التي لم تعد محتوياتها تلاحق التصورات السريعة في المتغيرات المعرفية والتعددية الثقافية**.(عباس** **وبن الحاج،2016،ص.09)**

**2.2.5. عملية الترجمة:**

قد تهدد اللهجات في لغة ما صدق تكييف الاختبارات، أي أن اللهجة هي الأهم أو هي الهدف المستخدم في التكييف الذي يمكن تطبيقه داخل اللغة الواحدة، فهذه النقطة يجب الانتباه لها قبل البدء في عملية التكييف، وجيب تنبيه المترجمين لها، كما أن إحصاء تكرار الكلمات قد يكون قيما في الحصول على ترجمة اختبار صالح، ومن الأحسن ترجمة الكلمات والتعابير المكونة من عدة كلمات بذات التواتر في اللغتين وذلك للسيطرة على الصعوبات عبر اللغات، إن المشكلة ان لوائح تواتر الكلمات والتعابير ليست متوفرة دائما وهذا سبب آخر لتفضيل المترجمين الذين لهم إطلاع على كلتا الثقافتين المصدرة والمستهدفة وليس معرفة اللغتين فقط. **(عباس ومهلل،2016،ص.243).**

فالاختبارات عبر الثقافية من الوجهة التقليدية، حاولت استبعاد بارامتر واحد أو أكثر تتباني فيه الثقافات، واحد الأمثلة المعلومة جيداً لمثل ذلك البارامتر هو "اللغة"، فإذا تحدثت المجموعات الثقافية المراد اختباراها لغات مختلفة، تم بناء اختبارات لا تتطلب لغة من جانب الفاحص أو المختبرين، وعندما اختلفت الخلفيات التربوية اختلافا كبيراً وكانت الأُمية سائدة، تم استبعاد القراءة ولم تستبعد اللغة الشفوية من هذه الاختبارات، لأنها صُممت للأشخاص الذين يتحدثون لغة مشتركة، وبارامتر آخر تتباين فيه الثقافات أو الثقافات الفرعية هو "السرعة" ولا تتباين درجة النشاط في الحياة اليومية بين الثقافات القومية، وبين مجموعات الأقليات الإثنية في وطن واحد فقط، وإنما تتباين أيضا الدافعية للاستعجال والقيمة المتعلقة بالأداء السريع تبايناً كبيرا بينهم، وبناء على ذلك، فقد حاولت الاختبارات عبر الثقافية في أغلب الأحيان، ولكن ليس دائما، استبعاد تأثير السرعة، وذلك بالسماح بحدود وقت طويل، وعدم إعطاء حوافز للأداء الأكثر سرعة.**(علام،2015،ص.330،329).**

**3.6. الطرق والخطوات المنهجية الواجب اتباعها في تكييف الاختبارات والمقاييس النفسية والتربوية:**

تكييف المفاهيم يقصد بالمفاهيم هي المصطلحات التي تعتبر ركيزة الاختبار حيث لوحظ أن هذه المفاهيم تختلف باختلاف التطور الثقافي، يشير(لوموف وآخرون) إلى أن المفاهيم التي تطورت في ثقافة معينة ستكون أقل فاعلية في التفاعل مع عقول الأفراد في الثقافات الأخرى، ويُفهم من هذا الكلام المفاهيم لا يمكن أخذها كما هي لكونها تعكس قيم ثقافة وخصوصية المجتمع أو البيئة التي تطورت فيها، وأحيانا تحتوي بعض المفاهيم على أفكار وآراء لها دلالات أخرى عندما تطبق في بيئة أخرى، فالعالم الغربي عندما شرع في بناء اختبار معين فقد وضع نصب أعينه أن ما يُطبق عليه هو إنسان غربي بكل خصوصياته، وهذا الباحث نفسه لو نظر إلى فرد عربي مثلا فسوف يفشل في تحديد جوانب مهمة في ثقافته، وهذا يرجع إلى أن عملية إدراكه لهذه الجوانب غير موجودة في علمه مسبقا. **(قوراح** **وسراية،2017،ص.4)**

كما يتطلب التكييف الثقافي للاختبارات مراعاة العديد من الإجراءات وإتباع عدة مراحل نوجزها فيما يلي:

1ـ ينبغي الأخذ بعين الاعتبار الأدوات والتقنيات والوسائل المناسبة للتكييف، ويجب أن يتضمن هذا الرأي تقويما موضوعيا لصدق مواصفات القياس للمعايير في ثقافة المنشأ ويجب ألا يحصل الافتراض بأن الأداة صادقة لمجرد استخدامها بشكل موسع.

2ـ قبل البدء في خطوة الترجمة ينبغي مراجعة البنود واستمارات الإجابة لاختبار طرق المجموعات الثقافية المحددة أو المجموعات الدولية.

3ـ في خطوة الترجمة (الترجمة الأولية والترجمة الراجعة أو العكسية) ينبغي التأكد من أن المترجمين خبراء في اللغتين ويعملون بشكل منفرد في مرحلتي الترجمة (مرحلة الترجمة من اللغة المصدر إلى اللغة الهدف والعكس)، وهنا ينبغي الانتباه إلى صدق ترجمة المتغيرات في اللهجات لتأثيرها على الترجمة من حيث المفهوم والمعنى مثل اللغة الاسبانية في بورتوريكو مقابل الإسبانية في المكسيك أو اللغة الفرنسية مقابل الفرنسية في كندا.

4ـ يجب دراسة إمكانية تكييف كل بند للثقافة المتلقية، إذ يمكن أن تستعصي بعض البنود عن النقل المباشر، فنقوم بتعديلها وإصلاحها أو إهمالها ووضع بدائل لها. **(نعموني،2014،ص.155).**

5.القيام بدراسة استطلاعية، حيث يجري استخدام النسخة التجريبية حسب الأعراف الثقافية، الممارسات، العادات، إلى ما هنالك للحصول على نماذج ذات تطابق كان في المجموعات التي تطبق عليها المقاييس.

6ـ عند تحليل المعطيات التي تم الحصول عليها عند تطبيق النموذج التجريبي، وهي خطوة مبكرة، يجب دراسة بنية وعينة (العامل أو العناصر) الأداة ومقارنتها مع بنية وعينة الأداة الأصلية في هذه المرحلة، يمكن أن يقرر الباحثون ضرورة إعادة بعض الخطوات السابقة قبل الاستمرار.

7. إذا كان القرار أنه بالإمكان القيام بخطوة نحو تطوير النسخة المكيفة، فإن الخطوة التالية هي القيام بالتحليل الإحصائي الضروري والمطلوب لإثبات خصائص القياس السيكولوجي في الأداة المكيفة ثقافيا. في هذه المرحلة وكحد أدنى، يجب حساب درجة الثبات الداخلية للبنود وصدق الدرجات والمعايير.

8.أما الخطوة الأخيرة في تطوير النموذج التجريبي. فهي القيام بدراسات للبنية ولصدق المعايير تنسجم مع الأغراض الأخرى التي تنوي الأداة استخدامها في الثقافة المتلقية، لأن نتائج بحث صدق الأداة الإيجابية سوف تؤمن مستخدمين محتملين وناشرين موزعين جدداً في الثقافة المتلقية مع الثقة الحقيقية، وهي أن أداة مطورة جديدة مكيفة ثقافياً جاهزة للاستخدام الميداني. **(رونالد وآخرون،2006،ص.442،441).**

في نفس السياق يضيف (جاب الله،2022) أن هناك مجموعة من العناصر الواجب أخذها بعين الاعتبار في تكييف اختبار ما والمتمثلة في الزمن، ترتيب البنود، شكل البنود، هيئة الفاحص، المكان، الأدوات المستعملة، تنقيط النتائج، الجو الملائم، ويمكن ذكرها بنوع من التفصيل:

**1.الزمن:** يمكن أن يكون محددا أو غير محدد، وفائدة الزمن هنا تكمن في معرفة عدد المشاكل التي يستطيع الفرد حلها في زمن محدد مقدراه "ز" (وهي طريقة الزمن المحدد) أو في معرفة عدد الدقائق التي يمكن للشخص فيها إنهاء المهمة المطلوبة منه (وهي طريقة العمل المحدد).

**2.ترتيب البنود:** مهم جدا، ويتم حساب درجات السهولة والصعوبة مثلا.

**3.شكل البنود:** ويقصد منه طريقة طرحها، أسلوبها، نوعها، وهو مهم أيضاً إذ يجب المحافظة عليها في الشكل المقنن، وبنفس الأسلوب في كل مرة يعطي فيها الاختبار.

**4.هيئة الفاحص:** مهمة أيضا لأنها تؤثر على المفحوصين، إلى جانب إيماءاته ودرجة صوته ونبراته ولباسه...

**5.المكان:** لابد من الحفاظ على شروط عامة للمكان، حتى نستطيع أن نثق في النتائج، فالمكان المملوء بالضوضاء، أو بالألوان أو فيه موسيقى من شأنه أن يؤثر على نتائج المفحوصين.

**6.الأدوات المستعملة:** التي تساعد في بناء الاختبار ذاته ويقصد بها مادة الاختبار إذ لا يسمح بتغيير مادة الاختبار من لوح إلى بلاستيك أو تبديل المكعبات بالأهرام وهكذا.

**7.التعليمات:** يقصد منها الأوامر والشروح التي تقد للمفحوصين، قصد مساعدتهم على إجراء الاختبار، إذ يجب أن تقدم التعليمات بشكلها وبنفس الأسلوب.

**8.تنقيط النتائج:** يقصد به تنقيط الإجابات المتحصل عليها بنفس الأسلوب وفقا لقواعد موحدة. **(جاب الله،2022،ص.10،9).**

**4.7. الشروط الواجب إتباعها للوصول إلى الحكم على صلاحية تطبيق أدوات القياس في البيئة العربية والجزائرية:**

تماشيا مع ما تم ذكره سابقا من عوامل مؤثرة في تكييف الاختبارات على البيئة العربية، وصولاً عند أهم الخطوات العلمية حتى لا تساهم عملية التكييف في الاخلال من بنية الاختبارات والمقاييس المعدة مسبقا في بيئات مختلفة، يجب الأخذ بالحسبان إجراءات منهجية سليمة في ظل عوامل التحيز والتحرر الثقافي، ولابد من الوقوف عند الشروط والمعايير التي ينبغي على الباحثين إتباعها للوصول إلى نتائج صادقة قابلة للتعميم على المجتمعات العربية وبالأخص في المجتمع الجزائري.

ولا بأس أن نذكر أهم المعايير:

أ/. يجب أن يتوفر للاختبار دليل يوضح كيفية استخدامه وأهدافه، ودراسات الصدق والثبات التي أجريت عليه، وكذلك توفر التعليمات، ومفتاح التصحيح ومعاييره، وطرق تفسير درجاته.

ب/. وجوب استخدام الاختبار من أجل الهدف الذي وضع من أجله عند البناء، والفئات العمرية التي خصص لقياس سمة من سماتها.

ج/. يجب أن يتمتع الاختبار بخصائص سيكومترية مقبولة، من الصدق والثبات والموضوعية للوثوق في نتائجه وصحة تفسيرها والاعتماد عليها ي اتخاذ مختلف القرارات.

د/. النظر في حداثة الاختبار من حيث تاريخ إعداده والدراسات التي أجريت عليه من أجل التحقق من صلاحيته في مختلف البيانات.

ه/. الاهتمام بالجانب الثقافي عند نقل الاختبار من ثقافة إلى أخرى وترجمته من لغة إلى أخرى إذ يجب أن يترجم ترجمة ثقافية وليس حرفية لتجنب التحيز الثقافي، ووجوب إعادة دراسات الصدق والثبات والمعايير وصياغة التعليمات ومفاتيح التصحيح وإعادة تقنينها على عينات جديدة المجتمع الجديد الذي سوف تطبق فيه.

و/. تحديد مسؤولية من يقوم بتطبيق الاختبارات ووجوب توفره على التأهيل العلمي والكفاءة الميدانية التي تسمح له بتطبيق الاختبار والاستفادة من نتائجه.

س/. حماية حقوق من يطبق عليهم الاختبار من حيث التفسير الخاطئ للنتائج، وضمان سرية المعلومات التي يصل إليها.**(بوسالم،2015،ص.24).**

**خاتمة:**

إن عملية تكييف الاختبارات والمقاييس النفسية والتربوية في البيئة العربية عملية في غاية التعقيد من حيث الضبط والتحكم في ظل وجود عوامل مؤثرة في عملية التكييف، كعامل الانحياز الثقافي باعتبار أن الكثير من الاختبارات النفسية والتربوية صممت في بيئات أجنبية متشبعة بأثر الثقافة ومنافية للقيم والعادات في المجتمعات العربية، لذلك يعتبر التطبيق المباشر لهذه الاختبارات في محيط عربي إسلامي أمر خطير قد يترتب عليه خطأ منهجي محتمل الحدوث والمتمثل في تقدير القيمة الحقيقية لمختلف درجات وتقديرات الاختبارات بعد تطبيقها، لذلك وجب على الباحثين والمهتمين بالقياس النفسي وبعملية تكييف الاختبارات القيام بتعديلات وتغييرات، وأن الاعتقاد السائد بوجود اختبارات متحررة من آثار الثقافة هو اعتقاد خاطئ، وذلك بسبب وجود فروق ما بين الشعوب والثقافات في المعايير والقيم والعادات، فتكييف الاختبارات عمل ضروري، لأنه يُمكن الباحثين من التعرف على المعايير العددية التي تميز المجتمع الذي ينتمي إليه الفرد. فنتائج الاختبارات تختلف من بيئة إلى بيئة أخرى ومن وسط إلى آخر، لذلك تدعو الضرورة إلى عملية تكييف الاختبارات على البيئة العربية.

**- توصيات واقتراحات:**

ترى **(جديدي،2020)** أن الاختبارات والمقاييس النفسية والتربوية تكتسي أهمية بالغة في عملية التشخيص والكشف عن الظاهرة التي يهتم بقياسها المختص النفساني أو الباحث الأكاديمي، لذلك يتطلب الأمر التأكد من صلاحية هذه الأدوات والوثوق في نتائجها، ولا يتحقق ذلك إلا من خلال توفر مجموعة من الشروط التي تدعم دقة النتائج، والتي من خلالها يمكن الوصول إلى حلول للظاهرة محل الدراسة، وفي مايلي مجموعة من الاقتراحات التي تساهم في تحسين استعمال هذه الأدوات:

1. إصدار دليل مفصل للاختبارات والمقاييس النفسية والتربوية في الجزائر، على أن يتضمن الدليل استخدامات الاختبار وخصائصه السيكومترية، والبحوث والدراسات المتعلقة بكل اختبار، مع معايير تفسير النتائج والخلفية النظرية الملائمة لذلك.

2. تقنين المقاييس والاختبارات النفسية على المجتمع الجزائري، ومحاولة توحيد الجهود بين الباحثين بهدف الوصول إلى اختبارات ملائمة للاستخدام وفقا لثقافة وخصوصية المجتمع المحلي.

3. توسيع عينات التقنين، بحيث تكون شاملة لجميع مناطق الثقافات الفرعية في الجزائر دون اقصاء.

4. الاعتماد على اختبارات متنوعة أمام عملية التشخيص.

5. استخدام معايير محلية للاختبارات والمقاييس المطبقة في الجزائر. **(جديدي،2020،ص.120)**

**قائمة المصادر والمراجع:**

1.إسماعيل،بشرى.(2004).المرجع في القياس النفسي(ط.1).مكتبة الأنجلو مصرية.

 .2.أمطانيوس، نايف مخائيل.(2015). القياس والتقويم النفسي والتربوي للأسوياء وذوي الحاجات الخاصة (ط.1). دار الاعصار العلمي.

3.آن أنستازي، وسوزانا أوراينا.(2015).القياس النفسي(ترجمة، صلاح الدين محمود علام،ط.1).دار الفكر.

4.الريماوي،عمر طالب.(2017). بناء وتصميم الاختبارات والمقاييس النفسية والتربوية (ط.1). دار مجد للنشر والتوزيع.

5.الطراونة،خليف.(2009). دليل مصطلحات القياس والتقويم (د.ط).هيئة اعتماد مؤسسات التعليم العالي.

6.بركات،عبد الحق بعلي،مصطفى.(2021).بناء وتكييف الاختبارات النفسية في ظل الخصوصية الثقافية -دراسة تفسيرية تحليلية-.مجلة الروائز. 05(02)، 148-133.

7.بوسالم،عبد العزيز.(2014).إشكالية صلاحية الاختبارات النفسية غير المكيفة في الممارسة السيكولوجية.مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية.07(01)،179-163.

8.بوسالم،عبد العزيز.(2015).الاختبارات النفسية المطبقة في الدراسات الأكاديمية الجزائرية وضرورة التكييف من أجل الصلاحية.مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية.07(02).26-20.

9.جاب الله، يوسف.(2022).تكييف الاختبارات النفسية وضرورة التعديل. مجلة البحوث والدراسات العلمية.16(01)،175-193.

10.جديدي،عفيفة.(2020).ضرورة تكييف الاختبارات والمقاييس النفسية والتربوية لاستخدامها في الدراسات الأكاديمية.مجلة الراصد العلمي.07(02)،122-108.

11.رونالد.ك،هامبلتون وبيتر ف.ميريندا، وتشارلز د.سبيلبيرغر.(2006).تكييف الاختبارات التربوية والنفسية للتقييم عبر الثقافات (ترجمة هالة برمدا، مراجعة مصطفى عشوي،ط.1).مكتبة العبيكان.

12.الشجيري، ياسر خلف، الزهيري، حيدر عبد الكريم.(2022). اتجاهات حديثة في القياس والتقويم النفسي والتربوي (ط.1). دار الاعصار العلمي.

13.طه،فرج عبد القادر، وأبو النيل محمود السيد، وقنديل شاكر عطية، ومحمد، حسين عبد القادر.(1936).معجم علم النفس والتحليل النفسي (ط.1).دار النهضة العربية.

14.عباس،عبد الرحمن، وبن الحاج، جلول عبد القادر.(2016).جدلية الكم والكيف في تقدير صلاحية أدوات القياس.مجلة سلوك.03(01)،203-178.

15.عباس،عبد الرحمن، ومهلل، زينة.(2016).النقل الثقافي للاختبارات النفسية ذات المنشأ الغربي في البيئة الجزائرية.المجلة الجزائرية للطفولة والتربية.04(01)،260-231.

16.عبد الخالق،أحمد محمد.(1996).قياس الشخصية (ط.1). لجنة التأليف والتعريب والنشر.

17.علام، صلاح الدين محمود.(2000).القياس والتقويم التربوي والنفسي (ط.1).دار الفكر العربي.

18.عمر،محمود أحمد، وفخرو، حصه عبد الرحمن، وتركي، السبيعي، وتركي آمنه عبد الله.(2010).القياس النفسي والتربوي(ط.1).دار المسيرة.

19.عوض،عباس محمود.(1998).القياس النفسي بين النظرية والتطبيق (د.ط).دار المعرفة الجامعية.

20.قوراح،محمد، وسراية،الهادي.(2017).الخطوات المنهجية في تكييف الاختبارات النفسية والتربوية. https://www.researchgate.net/publication/337195762

21.مراد،صلاح أحمد،وسليمان،أمين علي.(2005).الاختبارات والمقاييس في العلوم النفسية والتربوية خطوات إعدادها وخصائصها (ط.2).دار الكتاب الحديث.

22.معمرية،بشير.(2012). أساسيات القياس النفسي وتصميم أدواته للطلاب والباحثين في علم النفس والتربية(د.ط). دار الخلدونية للنشر والتوزيع.

23.معمرية،بشير.(2022).المرجع في القياس النفسي وتصميم أدواته (ط.4). دار الأندلس للخدمات الجامعية.

24.نعموني،مراد.(2014).التكييف الثقافي للاختبارات النفسية للبيئة العربية آراء واقتراحات. مجلة الحكمة للدراسات التربوية والنفسية.02(03)،163-153.